بتولية القديسة مريم

1 -حقيقة إنجيلية

بتولية القديسة مريم ليست أمراً يخص حياتها الشخصية ، لكنها حقيقة إنجيلية تخفى إيماننا فى المسيح يسوع . فإن كلمة الله عند تجسده لم يبالى بنوع الموضع الذى يضطجع فيه أو الملابس التى يتقمط بها أو الطعام الذى يقتات به ، لكنه حدد بدقة**" العذارء "** التى تصير له أماً . فقد قدم النبى أشعياء علامة نبوية لهذا الميلاد العذروى قائلاً (هوذا العذراء تحبل وتلد إبناً يدعى أسمه عمانوئيل.)

أما دوام بتولية القديسة مريم**" البتولية الدائمة "** فيؤكده نبى آخر بقوله: ثم إرجعى الى طريق باب المقدس الخارجى المتجه للشرق وهو مغلق فقال لى الرب هذا الباب يكون مغلقاً لا يفتح ولا يدخل منه إنسان لان الرب إله إسرائيل دخل منه فيكون مغلقاً الرئيس الرئيس هو يجلس فيه لياكل خبزا امام الرب.من طريق رواق الباب يدخل ومن طريقه يخرج. هو يجلس فيه (حزقيال 44 : 1-3)

يرمزهذا الباب الشرقى المختوم الى بتولية القديسة مريم الدائمة ، فإن الرب وحده دخل أحشائها ولم يفتح هذا الباب لآخر غيره بل بقيت الخاتمة غير منحلة فى هذا تترنم الكنيسة القبطية قائلة حزقيال شهد وأظهر لنا هذا قائلاً انى رأيت باباً ناحية المشارق الرب المخلص دخل إليه وبقى مغلقاً جيداً بحاله وفى الطقس البيزنطى أعطى للعذارء هذا اللقب (السلام لك ايها الباب الفريد الذى عبر منه الكلمة وحده)

س:هل بقيت بتولية القديسة مريم عند ولادتها يسوع؟

جاءت الإجابة فى بعض الكتب الارثوذكسية والكتب الغير قانونية أيضاً وان كانت الكتب غير القانونية الاولى ليست من قائمة الاسفار المقدسة ولكنها تعتبر كتب كنسية تحمل الكثير من الافكار والتقاليد الكنسية الاولى يستخدم بعضها كتراث فكرى مسيحى مبكر خاصة من كانت أفكارها منسجمة مع فكر الكتاب المقدس والكنيسة ... إستنادنا على بعض النصوص الواردة فى ثلاث من هذه الكتب إنما لان هذه النصوص تعكس إتجاهاً كنسياً مبكراً.

أكدت ثلاث كتب غير قانونية اولى ترجع الى القرن الثانى دوام بتولية القديسة مريم وهى:

1- جاء فى كتاب صعود أشعياء : وجد رحمها كما هو عليه قبل الحمل.
2- ورد فى أناشيد سليمان : أنها ولدت أبناً بغير آلام المخاض
3- يروى انجيل يعقوب الاول : ان سيدة تدعى سالومى قد لاحظت بتولية القديسة مريم بعد ولادة يسوع.

الفكر الآبائى:

يعتقد ان القديس بطرس بابا الاسكندرية(إستشهد عام 311 م) هو أول نبى أستخدم لقب **"إيبارثينوس "**أى دائمة البتولية للقديسة مريم قائلاً يسوع المسيح قد ولد حسب الجسد من مريم سيدتنا القديسة المعظمة والدة الالهة "ثيؤتوكوس" الدائمة البتولية. فى الواقع لم يكن القديس بطرس هو اول من اعتقد فى دوام بتولية العذراء القديسة مريم، اى بتوليتها قبل ميلاد السيد المسيح وعند ميلاده وبعد ميلاده.

ففى القرن الثانى يذكر القديس ايرنياؤس ماورد فى اشعياء النبى66 : 7-8 حيث يتنبأ عن عودة الشعب الى أورشليم بطريقة ملحوظة خلال آلام صهيون مفسراً ذلك ان النبؤة تشير الى العذراء مريم التى ولدت إبناً ذكراً بطريقة فريدة بغير آلام المخاض اى لم تفقد بتوليتها اذ يقول النبى قبل ان يأخذها الطلق ولدت قبل ان يأتى عليها المخاض ولدت ذكراً، يعلن القديس بان النبى قد اعلن بهذا من المنظورات، اى ميلاد الطفل من العذراء بطريقة فريدة ... وبهذا يؤكد القديس بتولية القديسة.

البتولية ولاهوت المسيح

هذا الميلاد البتولى الذى حدث مرة ولن يتكرر بعد انما هو برهان على إيماننا فى شخص المسيح يسوع- أنه ليس من هذا العالم بل هو ابن الله ، من الاعالى يظهر ذلك بوضوح فى اعلان الملاك جبرائيل للقديسة مريم نفسها عندما تساءلت كيف يكون لى هذا وانا لست اعرف رجلا، أجابها" الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظلك والمولود منك يدعى ابن الله" لو1 : 34-35 هذا ما جعل الميلا د البتولى يمثل عنصراً أساسياً فى قوانين الايمان الخاصة بالكنيسة الاولى لانه يتحدث عن القديسة مريم، وإنما لانه يعلن عن شخص المسيح يسوع وطبيعته ..

نذكر على سبيل المثال ماورد فى قانون الايمان للقديس هيبولتى حوالى 215 م أتؤمنى بيسوع المسيح ابن الله الذى ولد بالروح القدس من العذراء مريم ..

هذا الدليل استخدمه المدافعون المسيحيون الاوائل مثل القديس يوستين واثياغوراس فى دفاعهم عن المسيحية كما بشر به القديس إغناطيوس أسقف إنطاكية الذى أستشهد عام 110 م موضحاً ان الميلاد البتولى هو احد الاسرار العظمى الخاصة بالسيد المسيح التى أعلنت فى العالم فى أيامه إذ يقول : بتولية مريم- وإنجابها الطفل - وأيضاً موت الرب - هذه أخفيت عن رئيس هذا العالم .. أسرار ثلاث أعلنت جهراً، لكنها تحققت فى صمت الله

.. بإختصار نقول ان التعليم الخاص بالميلاد البتولى، فى حقيقته هو العلامة الظاهرة لسر التجسد التى تؤكد ان يسوع المسيح الابن الحقيقى لام حقيقية لم يحبل به من زرع بشر "إنسان" بل بالروح القدس بهذا وهو" ابن الانسان " لكنه لم يحمل الخطية بل صار رئيساً لجنس بشرى جديد

بتولية القديسة مريم والبتولية الروحية

فى العهد الجديد فإن العذراء لاول مرة ولآخر مر ة تنجب المسيا، إذ حملت ثمراً بالروح القدس هكذا صارت البتولية علامة إلتصاق الله بالانسان - لهذا يدعو القديس بولس الكنيسة" عذراء المسيح "وفى سفر الرؤيا يرمز لجموع المختارين الذين بلا عدد ب 144 ألف بتولياً يتبعون الحمل أينما ذهب (رؤيا 14: 4- 5)

هكذا أرتبطت البتولية بحياة القداسة، لا بمعنى ان كل بتول يحسب قديساً وكل قديس يلزم ان يكون بتولاً، لئلا بهذا نقلل من شأن الزواج المسيحى كسر مقدس إنما نقصد ان بتولية الجسد ماهى إلا علاقة للبتولية الروحية، فالبتولية فى جوهرها تكريس كامل لله وإتحاد مستمر مع المسيح يسوع .

هى بتو لية النفس والقلب والذهن والحواس والرغبات، ينعم بها المسيحيون بالروح القدس- تقدس نفوسنا وأرواحنا وأجسادنا مهيئاً إياها للعرس الأبدى ...لاتكرم البتولية من أجل ذاتها وإنما لإنتسابها لله...

+البتولية هى باب ضرورى لحياة القداسة
+هى القناة التى تجتذب اللاهوت للشركة مع الانسان (القديس أوغسطينوس)

٢-الثيئوتوكوس(والدة الاله)

أمومة القديسة مريم فى الكتاب المقدس

+ يشهد الكتاب المقدس لأمومة القديسة مريم لله فى البشارة يتحدث الملاك غبريال عن الطفل الذى تحبل به انه إبن العلى والقدوس وابن الله

+وعندما دخلت القديسة مريم بيت نسيبتها أليصابات وسلمت عليها ركض الجنين فى أحشائها بأبتهاج (لو 1: 41-44) وإمتلأت أليصابات من الروح القدس الذى وهبها إدراك سر التجسد الالهى إذ تكشفت فيها انها أم ربها، فقالت" من أين لى هذا أن تأتى أم ربى إلى" (لو1:3)

هكذا بينما العالم كان كله يجهل كل شيء عن البشارة للقديسة مريم إذ بالقديسة أليصابات تعلن أمومة مريم لربها رغم عدم وجود أى علامة ظاهرة لهذا الحدث الإلهى..

٣-حواؤنا الجديدة

حواء جديدة- إعتادت الكنيسة أن تلقب القديسة مريم أم جميع الأحياء وأم الحياة الجديدة وحواء الثانية فإن كانت حواء قد فقدت المعنى اللائق بإسمها كأم كل حى ، إذ خلال عصيانها جلبت على اولادها الموت عوض الحياة وصارت أم كل ميت فإن إبنتها القديسة مريم قد إحتلت مركزها خلا ل إيمانها وطاعتها وإتضاعها وهكذا صارت بالروح القدس أم الحياة تقدم لأبناء آدم شجرة الحياة ليأكلوا ويحيوا الى الآبد

هذا وقد صارت القديسة مريم خلال سر التجسد أما لا للرأس فقط بل لأعضاء جسده السرى أيضاً كقول القديس أغسطينوس ، وهكذا تقبلت أمومة جامعة الكنيسة .هذه العلاقة التى قامت بين حواء الجديدة وكل المؤمنين خلال التجسد قد أعلنت رسمياً بواسطة آدم الثانى وهو على الصليب ، إذ قال لحواء الجديدة" يا إمرأة هوذا أبنك " وقال لمؤمنيه" يا يوحنا هوذا أمك" خلال الصليب ، فقبلنا حواؤنا الجديدة من يد الله.

لقد تقبلنا القديسة مريم حواؤنا الجديدة فنقول لانها مع آدم: المرأة التى أعطيتنى معينة لى حواء الجدية، اعطتنى لأكل من شجرة الحياة ، اى من صليب أبنها.

+ دعيت حواء أما للجنس البشرى، أما مريم فهى أم الخلاص.
+ بعد أن حملت العذراء إبنها وولدته لنا إنحلت اللعنة –جاء الموت خلال حواء والحياة خلال مريم (القديس جيروم)
+تطلعت مريم الى حواء والى إسمها فإنه" أم كل حى "كإشارة سرية عن المستقبل لان الحياة نفسه ولد من مريم ، وهكذا صارت" أم كل حى "(القديس بيثانيوس)

٤-الممتلئة نعمة

سر الفرح .. فى البشارة حيا الملاك جبرائيل القديسة مريم بهذه الكلمات" السلام لك أيتها الممتلئة نعمة الرب معك مباركة انت فى النساء. "

قداستها :إرتبطت فكرة قداسة القديسة مريم فى ذهننا بأموميتها لله، كما إرتبطت بدوام بتوليتها وصداقتها للمؤمنين وموقفها كرمز للكنيسة المقدسة

إن أمومة مريم لله إنما جاءت ثمرة تزاوج نعمة الله المجانية مع خضوع مريم المؤمنة وطاعتها لله . فقد تدخل الله بطريقة معجزية لتحقيق التجسد الالهى كعطية مجانية يهبها الله للناس (لو 1: 35 - 38) هذه النعمة الالهية المجانية إقتنت القديسة مريم كمالاً وقداسة للروح: والجسد يهيئها لإستقبال السيد فى أحشائها قدستها نعمة الله وصيرتها قدس أقداس حقيقى يسكنه الله، سماء ثانية، أما للحياة والنور الواحد المقدس. هكذا خضعت العذراء بإسم البشرية- لرسالة الله وعمله (لو 1: 38) أما فى لحظات التجسد فتقبلت القديسة مريم كمالاً فريداً تحقق بحلول ابن الله واهب النعمة.

٥-شفيعتنا

مفهوم الشفاعة فى كنيستنا الارثوذكسية لايمكن أن تقبل وسيطاً بين الله والناس غير يسوع المسيح، الذى وحده رئيس الكهنة بالسماويات وذبيحة الفداء إذ بدمه ننال المصالحة وغفران الخطايا، وليس أحد آخر تحت السماء غير إسم" يسوع المسيح " به يمكن أن نخلص ، الحياة الانجيلية هى حياة وساطة حيث يشتهى الانسان ان يعمل ويصلى لكى يرى الكل فى أحضان الله ممجدين - فكلما إقتربت النفس الى الله فى إتحاد أعمق مع يسوع المسيح إلتصقت بالحب نحو الآخرين ، نصلى عنهم ونطلب خلاصهم هذا ما عناه القديس مقاريوس الكبير حين قال انه لا خلاص للانسان خارج إخوته، فعلينا جميعاً كل منا يصلى عن الآخر، الآباء ينصحون أولادهم من أجل خلاصهم مصلين من أجلهم وكما قال القديس بولس مرة أننا مساعدو الله كل منا وسيط بطريقة ما شفيع من اجل النعمة للآخرين.

سر شفاعتها

تكلمنا عن الشفاعة بوجه عام- ماذا بالأكثر تكون قوة صلاة والدة الاله من أجل أولادها وإخواتها ..طالبة خلاص الجميع. لقد رأينا العذراء مريم وقد نالت الامومة لإبن الله المتجسد منها، فصارت أم لكل جسده .. الذى هو الكنيسة .. هذه الأمومة ليست لقباً فخرياً بل مسئولية عمل دائم . هذا ما اكده الروح القدس كما تنبأ سمعان الشيخ قائلاً" وأنت أيضاً يجوز فى نفسك سيف (لو 2 : 35) نطلب صلواتها عناوشفاعتها عنا حتى نستطيع تنفيذ وصايا أبنها.

٦-القديسة مريم مثال العذارى

فى القرن الثانى نجدأحد الأباء يقول" يبدو أنه من غير اللائق أن نحسب إنساناً آخر غير العذراء" وفى خطاب وجهه القديس أثناسيوس للعذارى لا يزال محفوظاً بالقبطية يتحدث عن القديسة مريم كنموذج للعذارى ، ويروى القديس أغريغوريوس فى مقال ألقاه عام 379 م بالقسطنطينية كيف ان القديسة الشهيدة والعذراء يوستينه إذ واجهت الموت مع الساحر كبريانوس الذى إعتنق المسيحية على يدها إلتجأت الى السيد المسيح عريسها وتوسلت الى القديسة مريم" كعذراء فى خطر "تتطلع الى شفيعة العذارى.

٧-القديسة مريم والكنيسة

فى لحظات البشارة أظهرت القديسة مريم خضوعاً بكامل حريتها، وبذلك حقق الله تدبيره الالهى للاتحاد بنا، صارت أحشاء القديسة حجالاً لزيجة الكلمة مع الجسد المجيد فى الأحشاء ..وجد الكنيسة- أى جسده - مع ذاته ، وبهذا تحقق وجود الكنيسة السرى بكماله " كانت مريم بمثابة الارض الأم التى أنجبت الكنيسة " - القديس مارآفرام السريانى - تقبلت القديسة نعمة الاتحاد مع الله هذه كممثلة بطريقة ما للكنيسة الجامعة كعضو أول فيها، العضو الأمثل السامى ، ولهذا قبلت النعمة فى أعلى صورها.

القديسة مريم كنموذج للكنيسة

التسبحة الرئيسية التى ترنم يومياً فى الشهر المريمى- شهر كيهك - قبل عيد الميلاد تتكون من مختارات من سفر المزامير تمدح الكنيسة كمسكن لله المتجسد لم يكن هذا ممكنا بغير أن تمدح الكنيسةالعذراء طوال الشهر المريمى لأن ما قبلته القديسة مريم كان لحساب الكنيسة كلها.

فالقديس مارآفرام السريانى ينسب للكنيسة ماهو خاص بالقديسة إذ يقول" مباركة أنت أيها الكنيسة "تحدث أشعياء عنك فى تسبيحته النبوية المفرحة قائلاً" هوذا العذراء تحبل وتلد إبنا.. بالسر الكنيسة المخفى"

ويربط القديس كيرلس بابا الاسكندرية بين القديسة مريم و الكنيسة قائلاً "لتمجد مريم دائمة البتولية تسابيح الفرح التى هى نفسها الكنيسة المقدسة لنسبحها مع الابن العريس كلى الطهارة ...المجد لله الى الآبد"

يؤكد القديس اميروسيوس ان القديسة مريم هى" نموذج الكنيسة " كما قال القديس أغسطينوس أن" مريم هى جزء من الكنيسة"

التشابةبين القديسة مريم والكنيسة

القديسة مريم والكنيسة كلاهما أم وعذراء فى نفس الوقت، كل منهما قد حملت الروح القدس بغير زرع بشر، معطية ميلاد للابن الذى بلا عيب، فالقديسة مريم هى أم الكلمة الإلهى ولدته حسب الجسد، والكنيسة أم أعضائه ولدتهم بالمعمودية ليشاركوا السيد المسيح حياته. القديسة مريم عذراء حسب الجسد والروح ، أما الكنيسة فيمكن دعوتها عذراء إذ لا تنحرف قط عن الايمان بل تبقى أمينة على تعاليم السيد المسيح

٨-القديسة مريم فى الطقس القبطى

القديسة مريم تذكر فى كل تسبحة يومية و فى كل ليتورجيه، وفى كل صلوات السواعى النهارية والليلية، كما نحتفل بأعياد مريمية مختلفة سنوية وشهرية ، هذا بجانب تكريمنا لها فى بعض الأعياد المسيحية مثل أعياد البشارة والميلاد ودخول السيد المسيح الهيكل وهروب العائلة المقدسة الى مصر وتذكار أول معجزة صنعها السيد المسيح بقانا الجليل .. أما أ يقوناتها فلها سمات خاصة ، وتحتل مركزاً معيناً فى مبنى الكنيسة القبطية .
الانتيفونات ونغمات التسبيح المريمية مدهشة جداً خاصة ألحان الشهر المريمى(شهر كيهك) الذى يسبق عيد الميلاد.

٩-صعود جسد القديسة مريم

عيد العذراء عند الأقباط فى ١٦ مسرى هو إحتفال بذكرى صعود جسدها الى السماء إيماننا بالحياة العقيدية- ولم يتحلل جسدها الى تراب ولا فسد ، وبسبب كمال قداسة الابن الوحيد لا يمكن للموت ان يمسك به على الدوام.
اليوم تحمل الارواح السماوية الجسد المقدس للعذارء الثيؤتوكوس وتدخل به الى السماء وليكون بين الملائكة ، يتمتع بالنعم غير المنطوق بها.

تم بعون الله والشكر له على الدوام